

تاريخ القبول: 2020/08/26

تاريخ الإرسال: 2019/10/01

تاريخ النشر: 2020/10/20

التنظيم السياسي والعسكري بإقليم تبسة بعد مؤتمر الصومام 1956 من خلال وثائق الأرشيف الفرنسية

Political and Military Organization in territory of Tebessa after Sommam Conference (1956) through Documents of the French Archive

نبيل جابري¹، أ.د عبد الوهاب شلالي²جامعة العربي التبسي -تبسة- (الجزائر)، nappavitch@yahoo.fr¹جامعة العربي التبسي -تبسة- (الجزائر)، beylar1529pacha@gmail.com²

الملخص:

تهدف هذه الدراسة إلى معرفة أهم التطورات السياسية والعسكرية بإقليم تبسة بعد مؤتمر الصومام الذي انبثقت عنه مجموعة من القرارات أثرت على كثير من مناطق الوطن، وباعتبار إقليم تبسة منطقة حدودية فقد كان لها طابعها الخاص باعتبارها منطقة لتهديب الأسلحة والذخيرة، حيث تأثر الإقليم بقرارات مؤتمر الصومام وشهد العديد من الصراعات الأيديولوجية.

كان لزاما على قادة الثورة إيجاد الحلول الكفيلة لتجاوز هذه المرحلة، حيث تم عقد عدة اجتماعات للصلح بين مختلف القادة وإعادة تنظيم الإقليم سياسيا وعسكريا بما يتناسب والمتغيرات الحاصلة، حيث شهدت هذه الفترة إعادة هيكلة المنطقة وتزايد ملحوظا في تهريب السلاح نوعا وكيفا، بالمقابل قامت السلطات الفرنسية باستغلال هذا الوضع واستمالت السكان إليها، كما قامت بالعديد من العمليات العسكرية ضد المجموعات الثورية واعتراض حملات الأسلحة المهربة، وبحسب الوثائق الفرنسية فإنها اعترفت أن نتائج إجراءاتها كانت هزيلة ومكلفة وأنها

لم تفلح في القضاء على تهريب السلاح والتنظيمات الثورية ومنع التحاق السكان بالثورة الجزائرية.

الكلمات المفتاحية: تبسة، مؤتمر الصومام، التنظيم السياسي، التنظيم العسكري، هيكلية.

Abstract:

This study aims to know the most important political and military developments in Tebessa province after Sommam Conference which resulted in a set of resolutions that influenced many areas of the homeland. As a border region, Tebessa province had its own feature as a region for smuggling arms and ammunition, where the province was influenced by the decisions of the Sommam Conference and witnessed many ideological conflicts. The leaders of the revolution had to find the appropriate solutions to overcome this stage. Several reconciliation meetings were held between the various leaders in addition to the reorganization of the region politically and militarily in accordance with the changes that had happened. This period witnessed the restructuring of the region and a marked increase in the smuggling of weapons qualitatively. On the other hand, the French authorities exploited this situation and attracted the population to it, and carried out many military operations against revolutionary groups and intercepted loads of smuggled arms. According to French documents, they admitted that the results of their actions were meager and expensive and did not succeed in eliminating the smuggling of arms, revolutionary organizations, and preventing the population from joining the Algerian revolution.

Keywords: Tebessa, Somam Conference, Political Organization, Military Organization, Structured.

1. مقدمة:

استطاع قادة الثورة أن يحققوا أهدافها الأولية إلى حد كبير، منها الانتصار في بعض المعارك وتحقيق نجاح انطلاق الثورة رغم استشهاد العديد من قادتها، وفي ظل هذه الظروف الصعبة كان لزاما على قادتها عقد مؤتمر ينظم الثورة بما يلائم التطورات الحاصلة، فكان مؤتمر الصومام الذي ساهم في إيجاد حلول للمشكلات القائمة ووضع الخطوط العريضة التي ستسير على وفقها الثورة مستقبلا، وانعكس ذلك على مناطق كثيرة من الوطن، وقد شهد إقليم تبسة بعد مؤتمر الصومام تطورات سياسية وعسكرية أثرت على الأوضاع في المنطقة، لذا يجدر بنا طرح الإشكالية الآتية: فيما تمثلت أهم التنظيمات السياسية والعسكرية بإقليم تبسة بعد قرارات مؤتمر الصومام؟ وما هي ردود الفعل الفرنسية على ذلك؟

وللإجابة على هذه الإشكالية تم اعتماد المنهج التاريخي بشقيه الوصفي والتحليلي الملائمان لطبيعة هذا الموضوع.

2. ظروف إنعقاد مؤتمر الصومام

كانت الدعوة لعقد مؤتمر وطني يجمع قادة الثورة المسلحة أكثر من ضرورة بعد مضي عامين تقريبا على اندلاعها، حيث كانت المناطق الخمس قبل ذلك الوقت في حاجة عاجلة لاتخاذ القرارات والعمل وفق إستراتيجية بعيدة المدى من شأنها وضع حد لحالة الانقسام والسباق نحو الزعامة،¹ ولهذه الأسباب تم عقد مؤتمر الصومام الذي يمثل منعطفًا حاسمًا في مسار الثورة الجزائرية لأنه أوجد صفة التنظيم والهيكل للثورة، فقد عقد في فترة كانت الثورة في أمس الحاجة إليها نظرا لما أحرزته من نجاح، وفي مقدمة نجاحها اتساع رقعتها والحاجة إلى تطوير إمكانياتها ووسائلها المادية، لأن السلطات الفرنسية قد طورت إمكانياتها ووسائلها المادية والبشرية، كما اتبعت عدة أساليب جديدة، لذلك فعلى قيادة جيش التحرير الوطني إيجاد إستراتيجية فعالة لمواكبة التطورات سواء الداخلية أو الخارجية.²

تعود فكرة هذا المؤتمر إلى الاتفاق الذي كان بين قادة الثورة الأوائل الذين هيّؤوا للثورة وأعلنوها، حيث اتفقوا على اللقاء بعد ثلاثة أشهر لدراسة النتائج والإعداد للمستقبل، غير أن الصعوبات التي اعترضتهم حالت دون هذا اللقاء المبكر وتأخرت إلى صيف عام 1956.³

تغيّب الوفد الخارجي عن حضور هذا المؤتمر رغم الاتصال وتبادل الرسائل مع الخارج في القاهرة، ولكنه لم يتم الاتفاق على بعض النقاط خصوصا على القيادة، فجماعة القاهرة كانت تقترح قيادة مزدوجة: ستة أعضاء من داخل الجزائر وستة من خارجها، في حين جماعة رمضان عبّان اقترحت قيادة واحدة ستة أعضاء من داخل الجزائر، كما تغيّبت كذلك المنطقة الأولى نظرا لاستشهاد مصطفى بن بولعيد وبشير شبحاني وظهور خلافات على مستوى القيادة،⁴ وإخفاء موت بن بولعيد في مارس 1956 لمدة طويلة، كل ذلك خلق وضعية غامضة وعزل المنطقة عن باقي المناطق،⁵ ومن خلال التقارير التي قدمها قادة المناطق توصلوا إلى عدة نتائج، بحيث أقاموا من خلالها نظاما للثورة، ووضع مؤسسات للثورة أهمها: المجلس الوطني للثورة الجزائرية (CNRA): والمشكل من 34 عضوا، وهذا المجلس يشبه لحد كبير البرلمان أو اللجنة المركزية لجبهة التحرير الوطني المؤهلة لإقرار الحرب أو السلم.⁶

لجنة التنسيق والتنفيذ (CCE): مشكلة من خمسة أعضاء وهم العربي بن مهيدي، كريم بلقاسم، بن يوسف بن خدة، سعد دحلب، عبّان رمضان،⁷ كما تم الاتفاق على مبدئين أساسيين: أولوية الداخل على الخارج، وأولوية السياسي على العسكري، كما تم تنظيم المناطق وأصبحت المنطقة تعرف بالولاية، وعُيّنت حدود كل ولاية بما فيها الولاية السادسة، وقُسمت الولايات إلى مناطق، والمناطق إلى نواح، والناحية إلى قسامات،⁸ كما تم تنظيم الجيش من الناحية العسكرية، واستحدثت بعض الرتب،

وصار لجيش التحرير الوطني لباسه الخاص الموحد حيث أصبح يقود حربا حقيقية يحترم فيها قوانين الحرب.⁹

3. انعكاسات قرارات مؤتمر الصومام على المنطقة الحدودية الجزائرية التونسية

إن القرارات المتخذة في مؤتمر الصومام 20 أوت 1956 والتي جسدت على أرض الواقع في خريف 1956، وبدأ النظام يعمل بطريقة جيدة: أسلحة من أصول انجليزية سلمت للحكومة المصرية بدأت تأخذ مكان الأسلحة القديمة المسترجعة من الألمانين والإيطاليين التي كانت مخزنة من طرف مهربي السلاح بطرابلس وتونس بعد هزيمة قوات المحور سنة 1943، حيث استعملت لتسليح المجندين الجزائريين.¹⁰

غير أنه كانت بالجبهة الشرقية في منطقة الحدود الجزائرية التونسية صراعات كبيرة بين جيش التحرير وجبهة التحرير الوطني، فقد أصبحت بالولاية الأولى مناطق تمرد وخصومات بين مختلف القادة المحليين وكثيرا ما كان كل طرف يحاول تعزيز موقعه على حساب الآخر والحصول على أسلحة أكثر،¹¹ لكن هذه الظروف وضعت الولايتين الثالثة والرابعة في أزمة نقص الأسلحة الموجهة إليهما من مخازن تونس، أدت في بعض الأحيان إلى قتل جنود وقوافل الإمداد بالسلاح، وترجع هذه الصراعات إلى أسباب أيديولوجية وليست تنظيمية، ويعد كل هذه الصراعات سعى عمار بن عودة وعمر أوعمران إلى تكثيف جهودهما في تونس للاهتمام بإرسال الإمداد والسلاح لتزويد ولايتي أوراس النمامشة والشمال القسنطيني بالسلاح.¹²

كانت للتشنجات التي أعقبت مؤتمر وادي الصومام، بسبب نظام الأولويات- أولوية السياسي على العسكري، وأولوية الداخل على الخارج، الذي لم تهضمه بعض عناصر الوفد الخارجي من بينهم أحمد بن بلة المكلف بإمداد الثورة بالسلاح- مضاعفات سيئة على عملية الإمداد بالسلاح والذخيرة باعتبار أحمد بن بلة كان من أكبر المعارضين لهذه الأولويات.¹³

4. التنظيم السياسي بإقليم تبسة بعد مؤتمر الصومام

شهدت الأحداث في النصف الثاني من سنة 1956 العديد من التطورات قلبت موازين القوى، وجعلت من مناطق الحدود وتونس مسرحا لتغيرات جوهرية، وكانت البداية بمقتل جبار عمر وانسحاب القادة النمامشة (تبسة) من منطقة سوق أهراس وعودتهم للجبل الأبيض وفك الارتباط التنظيمي مع الأوراس بقيادة عاجل عجول وعباس لغرور المتصارعين مع عمر بن بولعيد وعابسي مسعود على قيادة الولاية الأولى بعد استشهاد مصطفى بن بولعيد.¹⁴

في ظل هذه التطورات حل بتونس أحمد محساس الذي كُلف بالتسليح والتموين على إثر الخلافات المتعددة بين قادة الداخل والخارج، حيث أنه بعد مؤتمر الصومام تعقدت الأمور أكثر واشتد الصراع من أجل السيطرة على قاعدة تونس، ومن هنا تتبين أهميتها خاصة للمناطق الحدودية.¹⁵

تذكر التقارير الفرنسية أنه سيتم عقد اجتماع لقادة الثوار بالشرق القسنطيني بتونس بداية شهر سبتمبر 1956 بمبادرة من أحمد بن بلة، وكان هدف هذا الاجتماع عقد صلح بين قادة النمامشة، بالإضافة إلى القيام بعملية توزيع أسلحة مخزنة بتونس، حيث أن الاختلاف بين الأعراس ازداد تعقيدا وتجسد من خلال تخاصم مختلف المجموعات المسلحة في مناطق نشاطهم واختلافات شخصيات قادتهم، وأن الخلافات كانت بين النمامشة والشاوية والحراكتة وأولاد سيدي يحي من جهة، ومن جهة أخرى بين النمامشة فيما بعضهم (برارشة وعلاونة) عقدت مجرى الاجتماع الذي اجتاز الوقت الذي كان مبرمجا أن ينتهي فيه، وانتهى الاجتماع ولم يحقق الأهداف المنشودة، وتم عودة بعض المشاركين إلى الجزائر ما بين 05 و10 سبتمبر 1956، حيث أن لحبيب بورقيبة قام بتهديد الأطراف التي ترفض الصلح بالتوقف عن مساعدتها في حالة ما لم تتم عملية توحيد الصفوف.¹⁶

في نفس الشهر أشارت تقارير فرنسية عن نتائج اجتماع أقيم بتونس،¹⁷ حيث وقعت مشاجرة عنيفة انتهت بتصفية حسابات، وتم فيها قتل الزين عباد الملقب بقرقوف، وجرح لزهري شريط وشريف محمود وقادة آخرين من مجموعات ثورية، واحتمال جرح آخرين مثل الوردية قتال وعباس لغور، وقد تم تعيين المستقلين المحتملين للضحايا، وتوقعت التقارير الفرنسية ردود فعل عنيفة من طرف المجموعات التي تم التعدي على قادتها، حيث أن ردود الفعل هذه قد تنتشر إلى حد وصولها إلى السكان الذين هم في حالة هدوء حالياً.¹⁸

تفيد التقارير الفرنسية أن بلدية تبسة المختلطة بعد مؤتمر الصومام كانت تحت قيادة لزهري شريط والذي بقي بشكل دائم قائدا لإدارة النمامشة بالرغم من أن حالته الصحية تجبره على الإقامة بتونس، أما منطقة مرسط فكانت تحت قيادة محمود قنز، وتشمل مناطق قيادته البلدية المختلطة مرسط ومن شمال إلى غرب سدراتة ومسكيانة، وبين هذين المنطقتين وبالتوازي "تبسة-الكويف" احتفظ الطكاكة بالتحكم بالشريط غرب وشرق مزوزية إلى جبل السيف والحمرة في القطاع التونسي، أما مدينة تبسة فقد بقي الوضع الأمني فيها هادئا تماما خلال شهر نوفمبر 1956.¹⁹

لقد تم الإعلان عن العديد من الاجتماعات بتبسة بعد مؤتمر الصومام، أقيمت واحدة منها في واد العلق²⁰ في 21 نوفمبر 1956 وخلال هذا الاجتماع تم إعادة توزيع قيادة النمامشة، في تجمع هام للثوار الذين شاركوا في عملية أنوال في 27 و 28 نوفمبر 1956، وكانوا في شكل مجموعات ذات توجهات مختلفة (بالنسبة للقادة)، وهذا يدل على التوافق أو الاتحاد بين النمامشة والطكاكة الذين كانوا متصارعين قبل ذلك،²¹ وخلال هذا الاجتماع تم توزيع القيادة الجديدة كالآتي:

- الملازم محمود الشريف قائدا بمنطقة تبسة،²² حيث وقع الاختيار من طرف لجنة التنسيق والتنفيذ عليه بحكم تجربته العسكرية وحنكته السياسية التي تمكنه من إخماد الفتنة في هذه المنطقة.²³

- الباهي شوشان بوكشاش برتبة "رقيب" قائدا بالبلدية المختلطة تبسة، بالتنسيق مع عاشور المولدي بن عمر الذي يتزعم منطقة تافرننت، ووحدة بلعيد الذي يتأسس منطقة قننيس الجديدة.

- الحبيب عباد برتبة ملازم يحتفظ بقيادة منطقة الشريعة، التي كان يقودها قبله أخوه الزين عباد.

- سمالي صالح ملازم منحت له قيادة منطقة الجنوب في الشريط الصحراوي.²⁴ حسب الوثيقة التي تحصلت عليها القوات الفرنسية يوم 16 أكتوبر 1956 بعد استشهاد فرحي الطاهر بن عثمان بالإضافة إلى وثائق أخرى صادرتها القوات الفرنسية كانت معه، فيها وثيقة خاصة بمنطقة تبسة تحت قيادة النقيب سمالي صالح بن علي، تم فيها تعيين الملازم جدي مقداد نائبا لسمالي صالح، كما تم إعادة تقسيم المنطقة السادسة للولاية الأولى إلى ثلاث نواح:²⁵ فكانت الناحية الأولى: تبسة تحت قيادة الملازم بدري جاب الله، الناحية الثانية: بئر العاتر تحت قيادة الملازم علي بن يونس، أما الناحية الثالثة: الشريعة- قننيس تحت قيادة الملازم نصر الله الكامل.²⁶

في نهاية أكتوبر 1956 تم عقد اجتماع في تونس لقيادة جبهة التحرير الوطني، تحت علم لحبيب بورقيبة ولسطان المغرب محمد الخامس، لكن هذا الاجتماع الذي لم ينجح بسبب القبض على أحمد بن بلة ومن معه في حادثة اختطاف الطائرة في 22 أكتوبر 1956، وعلى مستوى آخر قامت قيادة المناطق والنواحي باستبدال مقر القيادة إلى تونس، وبعد عملية الاختطاف اعتقدت الإدارة

الفرنسية أن المجموعات التي لازالت في الجزائر خلال هذه الفترة أصبحت دون قيادة وطنية، وموضوعة تحت قيادة بالنيابة بشكل غير رسمي من طرف قيادة جبهة التحرير الوطني، كما أثّرت إشاعات حول موت محمود الشريف وشريط لزهو وسماعلي صالح لكن لم تكن صحيحة، وهذا الحدث كاد أن يحدث بليلة داخل الثوار بتبسة، ويمكن تفسير ذلك لجهلهم لنشاطات ومصير قادتهم المتواجدين في تونس.²⁷

في ديسمبر 1956 تم تعيين محمود الشريف قائدا للولاية الأولى، غير أن ذلك لم يوقف الصراع الداخلي بين إطاراتها، إذ أن العديد منهم لم يكونوا راضين عن تعيين محمود شريف قائدا عليهم بما فيهم عرش النمامشة الذي ينتمي إليه، حيث دخل في صراع حاد مع لزهو شريط بعد تعيينه قائدا للمنطقة السادسة، معتبرين بأنه ليس من المجاهدين الأوائل الملتحقين بالثورة، بل كان ضابطا في الجيش الفرنسي ولم يمر على التحاقه بالثورة سوى أقل من عام، لذلك بقي محمود شريف يقود الولاية الأولى من تونس إلى غاية ديسمبر 1957 بعدما التحق بلجنة التنسيق والتنفيذ.²⁸

كانت قيادات الثورة بتبسة على مستوى بلديتي مرسط وبلدية تبسة موزعة

على النحو الآتي:

1.4 البلدية المختلطة مرسط

كانت تحت قيادة محمود قنز، حيث أن فرقته تتكون من سبع مجموعات يتراوح عددها بين 150 إلى 200 رجلا (مجاهدا) ينشطون بين بلكيف والحوض الصغير وبوخضرة، وهناك انتقادات فيما يخص قيادة هذه المجموعات من طرف فرحي محمد بن زروال (الملقب بحمة بن زروال) ابن عم فرحي ساعي،²⁹ وكان فرحي حمة بن زروال يقود ست مجموعات وحوالي 130 رجلا (مجاهدا) منظمين ومسلحين جيدا، ينشط في النصف الجنوبي لبلدية مرسط بين رأس الحوض وقلعة

سنان، حيث كانت لديه اختلافات مع سماعلي صالح اللموشي الذي كان يتولي قيادة مجموعة كاملة.³⁰

أما جديات المكي فكان على رأس مجموعة صغيرة متمركزة في جبل بوريعية، والذي قام بعدة عمليات زادت من سمعته ونشاطه في هذا الجبل، وكان المكي يبحث عن دعم لزهر شريط والوردي قتال للحصول على منطقة محمود قنز، وللتذكير فإن مجموعة معارفية السبتي كانت تنشط في شمال واد ملاق يقوم ببعض النشاطات بالمنطقة.³¹

2.4 البلدية المختلطة تبسة

تشير التقارير الفرنسية أن تنظيم الثوار الذي تم سرده سابقا بقي ساري المفعول إلى حد وقوع عملية تصفية الحساب بتونس، حيث أن اختفاء بعض القادة المجروحين أو القتل لم تكن مؤكدة، ومن الضروري انتظار معلومات أخرى في هذا الموضوع، حيث أنه من المحتمل أن استخلاف المناصب المفقودة سيحدث خلافات أخرى خطيرة بين المستخلفين المحتملين، وقد أصبح الوضع الحالي للقيادة الثورية في البلدية المختلطة بتبسة غير واضح،³² وبالرغم من الأحداث السابقة كانت هناك العديد من المجموعات في جبال جنوب تبسة بقيادة سماعلي صالح، وفي مركز القيادة القديم لإدارة النمامشة (المزرعة، الجبل الأبيض، الجديدة، بوجلال)، وأيضا في النطاق الحدودي (جبل السيف، درناية، جبل الشعني، تامسميدة).³³

إن نطاق نشاط إدارة النمامشة التي كانت في وقت سابق تغطي البلدية المختلطة لمدينة تبسة، مرست مسكينة سوق أهراس جنوب سدراتة، وجزء من الجنوب الغربي التونسي، أصبحت مقتصرة حاليا على ثلاثة أرباعها فقط.³⁴

إن التنظيم السياسي والإداري للثوار الذين تغطي شبكتهم كامل المنطقة، تلقوا خلال شهر نوفمبر 1956 ضربة مؤلمة خلال عمليات المراقبة لمدينة تبسة

ولدوار تازيننت، هذه العمليات تم تنفيذها إثر العثور على وثائق هامة والتي مكنت من القضاء على تنظيم ثوار تازيننت.³⁵

إن القبض على حفظ الله عبد الله يوم 04 سبتمبر 1956 سكرتير قائد الثوار سماعلي صالح مكن من معرفة وبدقة التنظيم السياسي والعسكري لمجموعات ثوار النمامشة، والقبض على بعض الثوار، والحصول على معلومات قيمة حول نوايا قادة الثوار وحول الخلاف العميق الذي يفرقهم، وأصبح نشاط المجلس الجزائري بتونس أكثر فعالية، وتمثل في تحركات جيش التحرير الوطني الناشط في الجزائر، أما بالنسبة لإدارة النمامشة فقد قامت بإعادة تنظيم الإدارة والقيادة الموحدة للنمامشة في المحور الرابط من ونزة إلى توزر، حيث احتفظ لزهري شريط بالقيادة، كما أن تونس فوّضت الملازم المرقى إلى جنرال "محمود الشريف" الذي يتمتع بتكوين عسكري فرنسي وثقافة غربية.³⁶

5. النشاط العسكري بإقليم تبسة بعد مؤتمر الصومام

كان النشاط العسكري على مستوى بلديتي مرست وتبسة على النحو الآتي:

1.5 في البلدية المختلطة مرست

تجسّد النشاط الثوري في البلدية المختلطة مرست بصفة مستمرة من خلال تخريب السكك الحديدية والأسلاك الهاتفية ورمي القنابل اليدوية ونصب الكمائن ضد العربات الفرنسية قليلة الحراسة، وتم استهداف المراكز الصناعية بالخصوص في ناحية العوينات والكويف وخنفة الموحد، لكن نشاط الثوار شهد انخفاضاً في هذه الفترة، حيث تم تسجيل ثلاثة اشتباكات خفيفة وعملية تخريب، وهو ما يمثل هجوم الثوار بالمنطقة، حيث لم يتم تسجيل أي اشتباكات جديدة بعد ذلك.³⁷

بتاريخ 11 نوفمبر 1956 تم إعدام خمسة أفراد من المسلمين الفرنسيين الجزائريين (F.M.A) من طرف مجموعة محمود قنز الذي أراد أن يحذّر الشعب من

الخطر الذي ينجم عن منح المساعدة للفرنسيين، وكذلك المساعدة التي استفادت منها المجموعة المنافسة له بقيادة حمة بن زروال.³⁸

2.5 في البلدية المختلطة تبسة

تم تسجيل تزايد لنشاط الثوار في مدينة تبسة نهاية شهر أوت تمثلت في ثلاثة اعتداءات، كانت حصيلتها أربعة قتلى وثلاثة جرحى إثر عملية فدائية، ومحاولتي تخريب، حيث أن العمليات توقفت منذ 02 سبتمبر 1956 إثر توقيف أعضاء لجنة تبسة،³⁹ لكن بعد ذلك يبدو أن نشاط الثوار كان مسخرا لتوظيف مجموعات قوية، حيث أصبحت الوحدات قادرة على حماية التحركات المقررة من طرف القيادات العليا لجبهة التحرير الوطني، خاصة أثناء عقد اجتماعات القادة، وحماية حمولات السلاح الموجهة إلى النمامشة والأوارس والمناطق الغربية الأخرى والتحصين لهجمات مضادة.⁴⁰

شهد شهر أكتوبر 1956 عدة عمليات عسكرية أهمها عملية بوكماش في 25 أكتوبر، وعملية أخرى في 31 أكتوبر بتازربونت، وعملية في 20 أكتوبر بجبل أنوال، وعملية في 27 إلى 29 أكتوبر بالزيتونة التي كانت أكبر العمليات نجاحا، بالإضافة اشتباك أم علي في 30 نوفمبر 1956، حيث أسفرت الخسائر الفرنسية عن: 24 قتيلا و76 جريحا (منهم أربعة بالخطأ "حادث")، بالإضافة إلى جرح أربعة فرنسيين مدنيين واختطاف آخر، واغتيال ثمانية أفراد من المسلمين الفرنسيين الجزائريين وقتيل واحد وثمانية جرحى.⁴¹

إنَّ أهم العمليات التي تم انجازها كانت خلال الشهر الفارط (أكتوبر 1956) بناء على معلومات تم الحصول عليها من منطقة قفصة، مكّنت من الاشتباك مع مجموعة من المجاهدين في جبل فوة، حيث خلفت خسائر للمجاهدين تمثلت في مصادرة 16 سلاحا حربيا، أما في ما يخص الخسائر الفرنسية خلال نفس

الفترة فقدت بسبعة قتلى وعشرة جرحى وأربعة أسلحة ضائعة، كما تم إسقاط طائرتين فرنسيتين.⁴²

اعترفت التقارير الفرنسية أن تنظيم جيش التحرير الوطني بتبسة أصبح جيداً، حيث ذكرت أنه «لم يبق العدو الذي أمامنا مجرد مجموعة من اللصوص ومجموعات خارجة عن القانون بل أصبح جيشاً مصغراً به وحدات مسلحة جيداً ومنظمة ومؤطرة، يملكون إمكانيات جيدة، والشاهد القوي على ذلك السلاح الذي أمسك به من طرف الجيش الفرنسي في الفترة ما بين 27 و 30 نوفمبر 1956 والمتمثل فيما يلي: 01 رشاش، 01 مورتى 60 ملم، 29 PM بريتا، 03 بنادق حربية، 20 مسدساً للتنبية، و 20.000 رصاصة، كما أن اشتباكات 27 نوفمبر بجبل أنوال و 30 نوفمبر 1956 بالدير أثبتت تلاحم عناصر المجموعات المتصارعة لسماعلي صالح وفرحي ساعي ومحمود قنز».⁴³

في نهاية نوفمبر 1956 وبجبل أنوال الذي يبعد عن جنوب تبسة بحوالي 10 كم، ضببطت القوات الفرنسية تحرك مجموعة من الثوار مع مجموعة أخرى كانت بتلايت بتونس، كانت تهدف إلى تحضير عملية بتبسة، ثم توجهت نحو الجبل الأبيض، لكن تم التصدي لها من طرف الجيش الفرنسي يوم 30 نوفمبر 1956 بأمر علي.⁴⁴

من 27 إلى 30 نوفمبر 1956 تمت عدة عمليات ضد جيش التحرير الوطني وأسفرت عن ما يلي: 80 شهيدا و 42 سجيناً، استرجاع 141 سلاحاً (منها 13 رشاشاً و 01 مورطى)، إضافة إلى كمية معتبرة من الذخيرة.⁴⁵

3.5 هيكلة جيش التحرير بإقليم تبسة على الحدود التونسية الجزائرية

بيّنت الفترة المنصرمة المساعدة الرسمية المقدمة من تونس للثورة الجزائرية، التي تحولت إلى عداوة حقيقية مع فرنسا، وكانت أهم التجمعات للثوار الناشطين في

المنطقة على النحو الآتي: إدارة النمامشة تنشط في محور (فريانة- تلابت)، و إدارة أولاد سيدي يحي تنشط في منطقة (قلعة سنان)، أما إدارة الطكاكة تنشط في (جبل السيف والحمرة).

من أهم اجتماعات قادة الثورة التي تم عقدها بتونس- منذ اجتماع أواخر أكتوبر 1956 الذي كان سيزم، لحبيب بورقيبة وسلطان المغرب محمد الخامس وأحمد بن بلة ونوابه إلى غاية اجتماعات الصلح المحلي- اجتماع فريانة في 20 نوفمبر 1956، الذي كان هدفه الصلح بين مختلف مجموعات النمامشة.⁴⁶

تفيد التقارير الفرنسية أنه يوجد انخفاض ملحوظ لعدوانية الثوار (المجاهدين)، ويرجع هذا إلى مضاعفة نشاط قوات الأمن الداخلية خلال الليل، إضافة إلى تصفية الحسابات بين قادة المجموعات، ورغم ذلك فإن تواجد المجموعات المسلحة أمر واقع، وهم متمحورون حول قواعدهم القديمة غرب الحدود، وكذلك على جانبيها.⁴⁷

على الحدود الجزائرية-التونسية فإن التهريب بكل أنواعه يتطور باستمرار، ففي الجانب التونسي فإن الثوار لديهم أفضلية لمساندة التنظيمات الحكومية التونسية التي لا تخشى أن تشهر وتعلن مساندتها للثوار الجزائريين، والدليل على ذلك الامتيازات التي يتحصل عليها الثوار الجزائريون لتنفيذ عمليات النقل، وكذلك إيوائهم والتدريب والتسليح واستقبال الجرحى والتكفل بهم، هذه المساندة الممنوحة علانية للثوار الجزائريين كانت من طرف تونس رغم أنها تدين للسلطات الفرنسية باستقلالها المبكر.⁴⁸

6. ردود الفعل الفرنسية

تذكر التقارير الفرنسية أنّ الوضع الحالي بعد خبر تصفية الحسابات التي وقعت بتونس في تحسن ملحوظ حيث عمّ جو من الاطمئنان بين سكان المنطقة،

ويجب استغلال هذا الوضع بسرعة وبكفاءة في المجال النفسي والاقتصادي والسياسي،⁴⁹ وأشارت نفس التقارير أن الوضع السياسي يتميز بالتوازن حالياً، لكن اختلال هذا التوازن لا يتطلب الكثير وهذا ما يعطي السلطات الفرنسية أفضلية، حيث أن النشاطات النهارية والليلية لقوات الأمن النظامية الفرنسية مكنتها من الحصول على نتائج مرضية في مكافحة التنظيمات الثورية، وتسلط جو من الشك عليهم، كما تم استمالة بعض الأفراد الذين سئموا من طلبات الثوار وتجاوزاتهم، وهذا في محاولة لشحن الجو وإعادة بعث أمل السكان في السياسة الفرنسية خاصة سكان الأرياف في مستقبل قريب، وهذا بهدف القضاء على الحركات الثورية وإسقاط الأسطورة التي تشكل هاجساً في نظر الجزائريين، لكن السلطات الفرنسية لاحظت أن السكان المحليين خاصة القاطنين في الجبال يلتحقون بالثورة وأنها تتطور يوماً بعد يوم، حيث أن القوات الفرنسية لم تستطع تحقيق ضربة تمكنها من توقيفهم نهائياً.⁵⁰

قامت القوات الفرنسية بخمس عمليات ضد المجموعات الثورية المحلية في الشمال ومركز ووسط المنطقة من البحر إلى تبسة، حيث كانت الحصيلة كالاتي:

212 قتيلاً، 20 سجيناً، 210 رشاشاً، F.M 02، و 08 مورطي، وهذا ما يمثل عُشر المجموعات الثورية الموجودة فعلياً التي تمكنت منها القوات الفرنسية خلال فترة سبعة أشهر، حيث أن هذه المجموعات الثورية تعيد تشكيل نفسها دون أي صعوبة وفي وقت قصير جداً.⁵¹

خلال نفس الفترة تم تسجيل خمسة اعتراضات للحمولات حصيلتها لدى الثوار 147 قتيلاً، 26 سجيناً ورشاشين أي ما يعادل 20/1 من 5.000 رجلاً والأسلحة التي تم تهريبها عبر شمال ووسط المنطقة الحدودية.⁵²

في جنوب تبسة أين نشاط القوات الفرنسية كان أسهل لوجود تضاريس ملائمة للتغطية الجوية واستعمال المدرعات، حيث تم تسجيل انتصارات خلال

السداسي الأول من عام 1957،⁵³ حيث حصلت سبعة اشتباكات كانت حصيلتها 205 قتيلا و 31 سجيناً لدى المجموعات الثورية، وبلغت خسائر الحملات خلال نفس الفترة 571 قتيلا، 22 سجيناً وأربعة رشاشات، ورغم نجاح هذه الاشتباكات إلا أنها لم تؤثر إلا على ربع الإمكانيات المحلية وخُمس الحملات المنقولة.⁵⁴

أما أهداف هذه العمليات فتمثلت في الاعتراض والقضاء على عمليات تهريب السلاح، وكذلك القضاء على البنية التحتية للمجموعات الثورية المحلية، وأيضا القضاء على التنظيم السياسي الإداري للثوار.

تعترف الوثائق الفرنسية أن النتائج كانت هزيلة ومكلفة، حيث أن قوات منطقة الشرق لم يعد لديها إمكانيات للقيام بهذه المهمات، وبالمقابل فإن مجهودات الثوار كانت ناجحة، ومن الناحية النفسية فإن نتائج هذا الوضع كارثية حسب التقرير الفرنسي.⁵⁵

7. خاتمة:

- كان لاستشهاد مصطفى بن بولعيد وغياب المنطقة الأولى عن حضور مؤتمر الصومام تأثير كبير على المنطقة وظهور خلافات وصراعات أيديولوجية بالمنطقة.

- كانت للتشنجات التي أعقبت مؤتمر وادي الصومام، بسبب نظام الأولويات- أولوية السياسي على العسكري، وأولوية الداخل على الخارج، الذي لم تهضمه بعض عناصر الوفد الخارجي من بينهم أحمد بن بلة المكلف بإمداد الثورة بالسلاح- مضاعفات سيئة على عملية الإمداد بالسلاح والذخيرة باعتبار أحمد بن بلة كان من أكبر المعارضين لهذه الأولويات.

- أسهمت قرارات مؤتمر الصومام في إعادة التنظيم السياسي والإداري وكذلك نطاق نشاط القادة، والتي انتهت بتعيين محمود الشريف قائدا للولاية الأولى في ديسمبر 1956.

- لم تنثِ الخلافات والصراعات التي حصلت بإقليم تبسة بعد مؤتمر الصومام من القيام بعمليات عسكرية شملت مناطق عديدة من الإقليم، بل ازدادت ضراوة وحدة بفضل تلاحم القيادة الثورية والمساعدات المقدمة من طرف تونس.
- حاولت السلطات الفرنسية استغلال الخلافات في القيادة الثورية بتبسة، وذلك بهدف القضاء على التنظيم السياسي والإداري والحد من تهريب السلاح نحو الداخل، إلا أنها لم تتجح بسبب تحسن القدرة القتالية للمجموعات الثورية والكفاءة القيادية.

8.المراجع

- ¹ يحي بوعزيز، الثورة في الولاية الثالثة 1954-1962، ط1، دار الأمة، الجزائر، 2004، ص 73.
- ² رشيد الجواني "هجمات 20 أوت 1955، انعقاد مؤتمر الصومام 20 أوت 1956"، مجلة الجيش، العدد 541، المنشورات العسكرية، أوت 2008، ص 44.
- ³ مبروك بلحسين، المراسلات بين الداخل والخارج "الجزائر القاهرة 1954-1956" مؤتمر الصومام في مسار الثورة التحريرية، تر: الصادق عماري، دار القصة للنشر، الجزائر، 2004، ص 52.
- ⁴ زهير احداون، المختصر في تاريخ الجزائر 1954-1962، ط1، مؤسسة إحدادن للنشر والتوزيع، الجزائر، 2007، ص 29.
- ⁵ مبروك بلحسين، المصدر السابق، ص 58.
- ⁶ أحمد توفيق المدني، حياة كفاح مع ركب الثورة التحريرية، ج3، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982، ص 231.
- ⁷ محمد حربي، مؤامرة العموري، مجلة التاريخ والسياسة، العددان 14-15، شركة النشر والتنشيط العلمي والثقافي، الجزائر، 2001، ص 12.
- ⁸ الطاهر سعيداني، القاعدة الشرقية "قلب الثورة النابض"، ط1، دار الأمة للطباعة والنشر، الجزائر، 2001، ص 200.
- ⁹ من أبعاد ثورتنا المظفرة، المجاهد، ع 08، 05 أوت 1957، وزارة المجاهدين، ص 03

¹⁰ Archive Vincennes, 1H 3783, (D 01), Étude sur « la bataille de la frontière algéro-tunisienne de janvier à mai 1958 ».

¹¹ محمد حربي، المرجع السابق، ص 11.

¹² محمد عباس، رواد الوطنية شهادات 28 شخصية وطنية، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2009، ص 154-155.

¹³ مسعود عثمانى، الثورة الجزائرية "أمام الرهان الصعب"، دار الهدى، الجزائر، 2012، ص 355.

¹⁴ محمد عجرود، أسرار حرب الحدود، منشورات الشهاب، باتنة، الجزائر، 2014، ص 72.

¹⁵ المرجع نفسه، ص 73.

¹⁶ Archive Vincennes, 1 H 1454, D 02, synthèses des renseignements parvenus au centre de liaison et d'exploitation de l'arrondissement de Tébessa sep et nov 1956.

¹⁷ وقع هذا الحادث خلال اجتماع لاكانيا بناحية ماتيلد فيل منوبة تونس 22 سبتمبر 1956، بين قادة من السوافة والناماشة اجتماع وكانت النتائج المباشرة للحادث استشهاد الزين عباد ويشير عيودي الذي قتل خارج القاعة، وإصابة لزهري شريط في إحدى عينيه وأنحاء من جسمه، أما ساعي فرحي أصيب في ذراعه، أما الوردى قتال أصابته بعض الطلقات في صدره، أما العيد بلباهي فقد أصيب بكسر، ونقل المجرّوحون إلى مستشفى فرحات حشاد في تونس لتلقي العلاج، للمزيد أنظر: عمار جرمان، من حقائق جهادنا، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة، 2009، ص 67، أنظر أيضا: الوردى قتال، مذكرات المجاهد والقائد الميداني الوردى قتال عراسة "قائد منطقة سوق أهراس وأبرز أبطال معركة الجرف أم المعارك ومعركة آرقو 1955-1956 أوراس النمامشة، دار كنوز للنشر والتوزيع، الجزائر، 2018، ص 138-142.

¹⁸ Archive Vincennes, 1 H 1454, D 02, synthèses des renseignements parvenus au centre de liaison et d'exploitation de l'arrondissement de Tébessa sep et nov 1956.

¹⁹ Ibid.

²⁰ (10 كلم جنوب جنوب شرق قنتيس).

²¹ Ibid.

²² Ibid.

²³ عبد المالك جويبة، أبطال وشهداء الثورة الجزائرية (محمود شريف)، طبعة خاصة بوزارة الثقافة، الجزائر، 2014، ص 06-07.

²⁴ Archive Vincennes, 1 H 1454, D 02, synthèses des renseignements parvenus au centre de liaison et d'exploitation de l'arrondissement de Tébessa sep et nov 1956.

²⁵ بوبكر حفظ الله، التطورات العسكرية بمنطقة تبسة إبان الثورة التحريرية من خلال أرشيف ما وراء البحار الفرنسي، ط01، سواهم للنشر والتوزيع، الجزائر، 2017، ص 41.

²⁶ نصر الله الكامل: ملازم بجيش التحرير الوطني، كان يمتلك قدرات عالية في القيادة وتكتيك القتال ووجهة الرأي وهو الذي قاد عدة معارك وكانت الخسائر البشرية بين جنوده قليلة كما أنه كان ينسق مع محمود الشريف فيما يتعلق بتوزيع الأسلحة، وكان شريط لزهري يسعى دائما للتقرب منهما، للمزيد أنظر: بوبكر حفظ الله، المرجع السابق، ص 55.

²⁷ Archive Vincennes, 1 H 1454, D 02, synthèses des renseignements parvenus au centre de liaison et d'exploitation de l'arrondissement de Tébessa sep et nov 1956.

²⁸ الطاهر زبيري، مذكرات آخر قادة الأوراس التاريخيين 1929-1962، منشورات الوكالة الوطنية للنشر والإشهار، الجزائر، 2008، ص 27.

²⁹ Archive Vincennes, 1 H 1454, D 02, synthèses des renseignements parvenus au centre de liaison et d'exploitation de l'arrondissement de Tébessa sep et nov 1956.

³⁰ Ibid.

³¹ Ibid.

³² Ibid.

³³ Ibid.

³⁴ Ibid.

³⁵ Ibid.

³⁶ Ibid.

³⁷ Ibid.

³⁸ Ibid.

³⁹ Ibid.

⁴⁰ Ibid.

⁴¹ Ibid.

⁴² Archive Vincennes, 1 H 1454, D 02, synthèses des renseignements parvenus au centre de liaison et d'exploitation de l'arrondissement de Tébessa sep et nov 1956.

⁴³ Ibid.

⁴⁴ Ibid.

⁴⁵ Ibid.

⁴⁶ Ibid.

⁴⁷ Ibid.

⁴⁸ Ibid.

⁴⁹ Ibid.

⁵⁰ Archive Vincennes, 1H 3783, (D 01), Étude sur «la bataille de la frontière algéro-tunisienne de janvier à mai 1958».

⁵¹ Ibid.

⁵² Ibid.

⁵³ Ibid.

⁵⁴ Ibid.

⁵⁵ Ibid.